مادة: الأدب الصوفي الجزائري **السنة الثالثة ليسانس/ أدب جزائري**

الدرس رقمّ 04 **أستاذ المادة: بن زياني**

موضوعات الأدب الصوفي الجزائري: أدب الكرامات والأولياء.

1)تعريف الكرامة:

عَرَّفَ السفارينى الكرامةَ بقوله: ''الكرامةُ وهي أمرٌ خارقٌ للعادة، غيرُ مَقرونٍ بدعوى النُّبُوَّةِ، ولا هو مُقَدِّمَةٌ "أي: ليس إرهاصاً، وهو الخارق الذي يظهر للنَّبِيِّ قبْل بِعْثَتِه"، يَظْهرُ [أي: الأمرُ الخارقُ] على يدِ عبدٍ ظاهرِ الصّلاح؛ عَلِمَ بها ذلك العبْدُ الصالحُ أمْ لمْ يعلم".

وقد اتّفق العلماءُ على أنّ الكرامةَ يُظهِرُها اللّهُ تعالى على يدِ بعض أوليائِه، الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى. وصاحبُ الكرامةِ لا يدّعي النُّبوَّةَ، ولكنْ كراماتُ الأولياء تدخل ضمن معجزاتِ الأنبياء –كما قرّر ذلك العلماءُ– وهي تَدُلُّ على صدق النّبِيِّ – صلّى اللّهُ عليه وسلّم– وعلى صِحَّة الطريق الذي سلَكه الوَلِيّ.

2)ملامح وخصائص الكتابة النثرية في أدب الكرامة والولي:

شهد مسار الكتابة النثرية الصوفية — حيث ينتمي أدب الكرامات و الأولياء إليه – تطورا معرفيا وفنيا المشرق قبل المغرب العربي، فقد كان **الحارث المحاسبي** (ت243 .) هو أول كاتب صوفي تجسدت في كتاباته سمات فنية ملحوظة، تجسدت في النبر ة الروحية الخاصة بالنثر الصوفي ...ثم تلاه **الجنيد البغدادي** في رسائله **والنفّري، فالتوحيدي، وابن عربي**...وغيرهم، وبالموازاة مع هذا التطور في مسار النثر الصوفي فقد تطورت أشكاله الفنية أيضا، إذ تنوعت" بين المناجاة، والحكَم والمواعظ، والقصص التعليمية، والرسائل المتبادلة بين الشيخ ومريديه وخواطر المناجاة، والتضرع، والابتهال وحكايات الخوارق، والكرامات،وأخبار الصوفية، والمقامات الروحية بوساطة أساليب يتجاوز فيها المصطلح الفلسفي، والتعبير الأدبي في محاولة للإحاطة بالمعاني الصوفية الجديدة، الغزيرة والعميقة،و بجمال التجربة التي تعبر عنها وفرادتها ".

كما اقترنت المناقب والرسائل المتبادلة بين الشيخ ومريديه بالكرامات، بل أصبحت تدل عليها، أي لَا بد لأي كتاب في المناقب أن يحتفي بالكثير من كرامات الأولياء وشيوخ الطرق الصوفية، وكان أن جعلت الكرامات عنوانا لها : المناقب الصوفية،ولفظ (منقبة) يحيل مباشرة على ضروب من الكرامات المختلفة.

وأدّت كتب المناقب تلك أو النصوص الكرامية على وجه التحديد دورا هاما في خدمة ونشر التيار الصوفي وتمرير خطاباته الإصلاحية، لما للكرامة من خصائص وميزات تتيح لها تحقيق الغرض المنوط بها والرسالة الموكلة إليها بكل نجاح، وسر نجاحها يتأتى من كونها:

ـ قالب أو شكل تعبيري مرتبط بالدين، وارتباطها بالمقدس يكفل لها القبول لدى العامة والخاصة،كما أنّها قالب تعبيري قريب إلى القلوب و الأذهان و يحمل في الوقت نفسه المتعة والتشويق والإثارة.

ـ ولأنّها نص ملتوٍ يملك القدرة على التمويه والستر، وظفها الصوفية لتمرير خطاباتهم إلى المجتمع دونما التّعرض المباشر لمقارعة السلطة، أو الإعلان الصريح بالتمرد على قراراتها.

وانطلاقا من وعي المردين بهذه الأهميّة، وهذا الدور الذي تلعبه الكرامة، فهي تنجح في تمرير ما عجزت عنه الكثير من أنواع الخطابات الأخرى، وفي فترة زمنية قياسية، تسابقوا وتنافسوا من أجل جمع أكبر قدر ممكن منها وترتيبه وتنظيمه ضمن مصنفات عرف بكتب المناقب الصوفية.

3) أدب المناقب والكرامات في الأدب الجزائري القديم:

كثرت المؤلفات الصوفية في الجزائر، وتسابق المريدون في تبسيط مضامين المصنفات الأساسية للتصوف،ثم انتقلوا إلى مرحلة الإنتاج ونجحوا في تشكيل اتجاهات ومذاهب صوفيّة لم تكن معروفة إلا بالمغرب الأوسط، من هنا انطلق تشكيل الخصوصيّة الصوفيّة لمتصوفة الجزائر بعد أن تشبعوا بمبادئ التصوف عبر مصادره المختلفة كما سبق وأشرنا.

وكثر إنتاج الكتب والرسائل والمنظومات والمناقب والمواعظ والحكم وشروح القصائد الصوفية، والأذكار والأوراد والردود والمدائح النبوية التي تسلط على الجانب الصوفي الروحاني في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام...وغير ذلك من الأجناس والقوالب التي احتكرها المريدون وشيوخ التصوف لنقل تجاربهم وتجارب سابقيهم، حيث أصبح" المؤلفون لا يؤلفون إلا وفي أذهانهم أهل التصوف سواء كانوا معاصرين لهم أو متقدمين عنهم" لدرجة أن التأليف في التصوف – عكس العلوم الأخرى – كان أكثر بكثير من تدريسه ونشر تعاليمه. خاصة كتب المناقب الصوفية التي جعلت من حياة المتصوفة وسيرهم وتعداد فضائلهم وسرد كراماتهم وخوارقهم موضوعا لها من أشهر ما أُلف في هذا المجال:

ـ **المواهب القدسية في المناقب السنوسية:** ألفه" محمد بن إبرا هيم بن عمر الملالي التلمساني" (ت 897 - 1492م)

ـ **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار،ومعدن الأنوار،سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار:** لمحمد الصباغ القليعي، ولدحوالي سنة 923 .

ـ **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية:** لأبن عبد الكر م الفكو ن.

_ **لواء النصر فيفضلاء العصر** : لأحمد بن عمار.

_ **عقد الجمان النفيس فيذكر الأعيان من أشراف أغر يس:** لعبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التيجاني.

_ **أنس الغريب وروضة الأديب:** لأبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (865 -1460م)

وفي المقابل اتجه البعض إلى تخصيص مصنف كامل في ذكر كرامات وخوارق ومآثر شيخ من شيوخ الطرق الصوفية من ذلك:

_ **طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية فيالطر يقة الزيانية الشاذلية:** لمصطفى بن الحاج بشير .

_ **فتح المنان، في سيرة الشيخ سيدي الحاج محمد بن أبي زيان:** و هو مجهول المؤلف.

_ **كنز الأسرار، في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار** : لمحمد بن محمد الغريسي المعسكري الملقب أبو زيان(ت 1271 -1854)

نموذج من كتاب عنوان الدراية للغبريني:

– من كرامات أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي(ت 495 هـ) .

_ سمعت عنه – ر ضيالله عنه – أنه قرأ حتى انتهى إلى سورة" **تبارك الذي بيده الملك**" فظهرت له معالم العلى، وتحلى من مواهب لله بأحسن الحلى، فكانت تلك السورة سورة منتهاه وغاية مرماه، وأخبرني بعض المشيخة – ر ضي الله عنهم – أن الشيخين القاضيين... أبا علي المسيلي، وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي– ر ضي الله عنهما، سمعا عنه أنّه يأتي من العلم بفنون، وأنّه اطلع من أمر لله على سره المكنون، مع أنه لم ينتهي بالقراءة إلا عند السورة المذكورة، فكانا يتعجبان،و يكادان يحيلان ما عنه يسمعان، فاتفق رأيهم على الاجتماع معه و الاطلاع على ما عنده، فسارا إليه إلى أحد مسجديه اللذين كانا يجلس فيهما مع بعض خواص أصحابه، فدخلا فألقياه يفيض في أمور و يستخرج الدرر من قيعان البحور، فجلسا إلى أن فرغ من كلامه، ورجع إلى ما يخصه من مرامه فسلّما عليه وسلّم عليهما، ولم يكن لهما رؤية قبل، فقال لهما: أما هذا فالفقيه أبو محمد عبد الحق، وأما هذا فالفقيه أبو علي المسيلي، فقالا: نعم، وكان هذا من جملة كراماته... فسألاه حيث انتهى بدراسته، وعن مبلغ قراءته، وذكرا له أنهما سمعا عنه أنه انتهى إلى سورة" **تبارك الذي بيده الملك**"، وأنه لم يزد عليها ، فأجابهما رضي لله عنه وقال: نعم، كانت سورتي،فوجدتها سدرتي،ولو تعديتها لأحرقتني سبحات الوجه الكر يم، ثم التفت إليهما مخاطباً بنزعة صوفية،مشير اً عن يمينه و يساره، و هو يقول: " **بي قل وعلّي دل، فأنا الكلّ** " فانفصلا عنه، وقد تأكد العلم عندهما بأن لله مواهب لا تسعها المكاسب، وأنّ الفضل بيد لله يؤتيه من يشاء ."